المبحث الأول

بدعة التوحيد الثلاثي

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[1]، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[2]، وقال الله تعالى في سورة سيدنا يوسف: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[3]، وقال بعدها ﷻ: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾[4] فالعبادة إنما كانت للأرباب المتفرقين

وقال الله – تعالى – في حق سيدنا عيسى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[5]، وقد قال الله في الآية الأخرى: ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[6].

إن (الرب) و (الإله) في القرآن **كلمتان مترادفتان، فهما بمعنى واحد**، فالمشرك لابد أن يكون أشرك بالربوبية، ولا يعبد الله، ويعبد تلك الأرباب الباطلة، والدليل

(١) الآية ٦٦ من سورة يونس.
(٢) الآية ١٣ من سورة فاطر.
(٣) الآية ٣٩ من سورة يوسف.
(٤) الآية ٤٠ من سورة يوسف.
(٥) الآية ٨٠ من سورة آل عمران.
(٦) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

على هذا أن كلمة « **لا إله إلا الله** » تتضمن توحيد عام لا بعضى ، ولو كانت تتضمن توحيد الألوهية فقط – كما يقولون – لاقتضى أن لتوحيد الربوبية كلمة أخرى غير هذه ، ولم يقل أحد بذلك ، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [2] .

وأن السنة كالقرآن في ذلك ، ففى حديث رؤية الله – تعالى – : أن كل عابد يتبع معبوده ، فيبقى المؤمنون ، فيتجلى لهم في غير الصورة التي يعرفون ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون ، فيقولون : **أنت ربنا حقا** [3] .

وقال سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [4] .

وقال سيدنا يوسف عليه السلام وهو يدعو صاحبي السجن إلى التوحيد : ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [5] ، وقال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [6] ، فهل كان صاحبا السجن – اللذان كانا يعبدان الأصنام – وفرعون مقرين بالألوهية لله؟! .

وقال – سبحانه وتعالى – لنبيه محمد ﷺ : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [7] .

وتبين بما ذكر من آيات **بطلان** دعوى من ادعى أن جميع الأمم مُقِرُّن بتوحيد الربوبية ، وأن الرسل – عليهم السلام – لذلك لم تدع إليه ، وأنها إنما دعت فقط

---

(١) الآية ١١١ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

(٣) البخارى : (٨٠٦ ، ٤٥٨١ ، ٦٥٧٤ ، ٧٤٣٨ ، ٧٤٤٠) ، ومسلم : (١٨٢ ، ١٨٣).

(٤) الآية ٨٠ من سورة الأنعام .

(٥) الآية ٣٩ من سورة يوسف .

(٦) الآية ٢٤ من سورة النازعات .

(٧) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام .

إلى توحيد الله بعبادته .

والذين ادعوا أن جميع مشركي الأمم مُقْرُّن بتوحيد الربوبية ، وأنهم إنما كفروا فقط لإخلالهم بالألوهية – أي بعبادة غير الله – إنما دعواهم دعوى مناهضة لما ذكر من آيات تدل على إشراك المشركين معبوداتهم في بعض خصائصه تعالى .

وما احتجوا به من آيات فلا دليل فيها وفي أمثالها على دعواهم أن مشركي الأمم مقرون بتوحيد الربوبية – لوجهين :

أولهما : أن دعواهم تشمل جميع مشركي الأمم ، بينما هذه الآيات لم تنزل إلا في مشركي العرب في زمنه ﷺ .

ثانيهما : أن التواريخ المروية والمشاهدة تثبت أن طوائف من الناس تنكر وجود الله – كالدهرية ، ومنهم بعض المشركين الذين قالوا : ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [1] ، وطوائف أخرى تنكر وحدانية الله – كالوثنية الذين يقولون بإلهين للخير والشر ، والصابئة عبدة الكواكب الذين أثبتوا للكواكب تدبيراً استحقت من أجله العبادة ، ورفع الحاجات إليها ، واعتقدوا أن لها أثراً عظيماً في الحوادث اليومية ، وسعادة المرء وشقائه ، وصحته وسقمه ، فهل يصدق على هؤلاء الذين يثبتون التدبير لغيره تعالى أنهم موحدون توحيد الربوبية ؟ .

وكذلك أثبت القرآن أن النمرود وفرعون كانا يدعيان الربوبية ، والأول حاج إبراهيم في ربه وقال : ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [2] والثاني قال : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [3] ، وقال أيضاً : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [4] ،وقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [1] .

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية .

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ٣٨ من سورة القصص .

كل هؤلاء وأمثالهم بعيدون عن معرفة الربوبية فضلاً عن الإقرار بالتوحيد بها وقال – تعالى – عن مشركي العرب: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ (٢)

فأين توحيد الربوبية عندهم؟! وفي قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (٣) كذبهم الله سبحانه في نفس الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٤).

فأين إقرارهم بربوبيته تعالى؟ فالنكير في الآية على عبادة غيره – سبحانه وتعالى – وليس التقرب إلى الله زلفي، مما يدل على إشراكهم في العبادة مع الله غيره، وليس اعتقادهم بأنهم شفعاء إلى الله قط (٥).

(١) الآية ٢٤ من سورة النازعات.

(٢) الآية ٣٠ من سورة الرعد.

(٣) الآية ٣ من سورة الزمر.

(٤) الآية ٣ من سورة الزمر.

(٥) هذه المسالة من كتاب (خطأ التقسيم الثلاثي للوحيد)، د. عمر عبد الله كامل، بتصرف.

obeikan.com